

الإعجاز النفسي

معناه وأدلته وموقعه بين وجوه الإعجاز

د | أحمد خالد شكري^(*)

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

فإن القرآن الكريم كلام الله، وحبله المتين، والذكر الحكيم، والنور المبين، لا تزيف به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا تنقضي عجائبه، ولا يُمل مع كثرة التكرار، وقد بذلت جهود عظيمة لخدمته قديما وحديثا، وتعددت العلوم المتصلة به، ومنها البحث في إعجازه، وما نزال نرى من علمائنا وباحثينا أفكارا وآراء فيه، تدل على عظمته وإعجازه.

ويأتي عقد هذا المؤتمر القرآني حول إعجاز القرآن، الذي تقيمه كلية التربية الحكومية في غزة، حلقة ضمن سلسلة هذه الجهود المتوالية، إلا أن في المؤتمرات ميزة زائدة على التأليف، حيث يكشف اللقاء بين الباحثين والتحاور فيما بينهم عن نقاط وأمور قد لا تظهر للمتأمل وحده، فجزيل الشكر للإخوة القائمين على أمر هذا المؤتمر العلمي المتميز بموضوعه، وبمكان انعقاده في أرض الرباط والجهاد، أرض النبوة والأنبياء، والعلم والعلماء، والمجاهدين والشهداء.

(*) أستاذ مشارك بقسم أصول الدين في كلية الشريعة - الجامعة الأردنية - الأردن.

وقد رأيت أن يكون عنوان بحثي المقدم إلى هذا المؤتمر:

الإعجاز النفسي معناه وأدلته وموقعه بين وجوه الإعجاز

وجعلته في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى الإعجاز النفسي

المبحث الثاني: أدلة الإعجاز النفسي

المبحث الثالث: موقع الإعجاز النفسي بين وجوه الإعجاز

ولم أثبت في آخره قائمة المراجع - وقد بلغت ستين مرجعاً - اكتفاءً بالتعريف الكامل

بالمرجع عند ورود ذكره في البحث أول مرة، وأرجو أن أكون قد وفقت في موضوع البحث

ومضمونه ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ الآية ٨٨ من سورة هود.

المبحث الأول: معنى الإعجاز النفسي

بحث في هذا الوجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم كثيرون، واختلفت عباراتهم في تسميته اختلافاً واضحاً، وقد يكون مؤدى كلامهم متقارباً أو متحداً، وفي بعض الأحيان متباعداً، وبناءً على هذا الاختلاف بينهم، كانت الحاجة ملحة لمحاولة تحديد معنى هذا الوجه، بعد جمع كلام العلماء الأفاضل والمقارنة بين عباراتهم المتناثرة في كتب الإعجاز وغيرها.

وبأني في المقدمة الإمام الخطابي (ت ٣٨٨هـ) فهو أول^(١) من أشار إلى هذا الوجه من وجوه الإعجاز صراحة في كتابه: بيان إعجاز القرآن حيث قال: “ في إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعة بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منشوراً، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها [من] الوجيب^(٢) والقلق، وتغشاها [من] الخوف والفرق^(٣) [ما] تقشعر منه الجلود وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس وضمراتها وعقائدها الراسخة فيها،

(١) بحث في إعجاز القرآن الكريم قبل الخطابي جماعة، كالجاحظ والرماني وكاتب المتوكل والطبري وأبو الحسن الأشعري وغيرهم، ولم يظهر في كلام أي منهم الإشارة إلى هذا الوجه أو ذكر له، ولهؤلاء وغيرهم مؤلفات مفقودة في الإعجاز لم تصلنا، ولا نستطيع الجزم بخلوها من ذكر هذا الوجه في الإعجاز، وعليه تم اعتماد نسبة أولية القول بهذا الوجه للخطابي، وقد أثبت أولية الخطابي فيه غير واحد مثل: د. فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص ٣٤٥، ود. صلاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، ص ٣٥٠، ود. خليفة حسين العسال، من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ص ٣٤، القاهرة، ط الأولى، ١٩٩٤م.

(٢) وجب القلب وجيباً ووجباناً: خفق واضطرب ورجف (إبراهيم مصطفى ورفاقه، المعجم الوسيط، مادة وجب، ١٠٢٣/٢).

(٣) الفرق: الجزع وشدة الخوف (إبراهيم مصطفى ورفاقه، المعجم الوسيط، ٦٩٢/٢).

فكم من عدو للرسول ﷺ من رجال العرب وفَتَّاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آيات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالته ويدخلوا في دينه، وصارت عدواتهم موالاة، وكفرهم إيماناً^(١) ثم ذكر الخطابي عدداً من الحوادث من السيرة ومن الآيات التي تبين تأثير القرآن في النفوس، ويلاحظ أن الخطابي لم يسم هذا الوجه من الإعجاز، إلا أن عباراته الجميلة في تصويره وتقريب معناه واضحة تماماً ومعبرة عن المقصود.

ومن المتقدمين القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) إذ قال وهو يعدد وجوه الإعجاز: "ومنها الروعة التي تلحق سامعيه وأسماعهم عند سماعه، والهيبة التي تعتر بهم عند تلاوته لقوة حاله، وإنافة^(٢) خطره، وهي على المكذبين به أعظم حتى كانوا ليستثقلون سماعه ويزيدهم نفوراً كما قال تعالى، ويودون انقطاعه لكرهتهم له..."^(٣).

هذه العبارات من الخطابي والقاضي عياض وأشباهها عند غيرهما، كانت أساساً بنى عليه اللاحقون، إلا أنهم لم يتفقوا على عنوان محدد أو اسم صريح لهذا الوجه من وجوه الإعجاز، ومعظمهم يمر به مروراً عابراً، ولا يخصص له عنواناً محدداً، وقد يختلط الكلام عنه بالكلام عن وجوه أخرى للإعجاز.

وذكره على أنه أحد وجوه الإعجاز القابلة للمناقشة ابن القيم (ت ٧٥١هـ) وأورد الاعتراض عليه بوجود كلام مؤثر عند بعض البشر أيضاً^(٤).

وأشار إليه ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) أثناء حديثه عن وجوه الإعجاز في تفسيره لآيات التحدي^(٥).

(١) الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص ٩٢ و ٩٣، تحقيق: عبد الله الصديق، ص ٧٠، من تحقيق: محمد خلف لله أحمد ود. محمد زغلول سلام، وقد سقط منها ما أثبتته بين حاصرتين.

(٢) النيف والمنيف: الزائد على غيره. (إبراهيم مصطفى ورفاقه، المعجم الوسيط، مادة نوف، ٩٧٣/٢).

(٣) القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ٢٤١/١، تحقيق: حسين عبد الحميد نيل.

(٤) ابن القيم، الفوائد المشوق، ٢٥٠.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٠٩/١.

أما الإمام الزركشي (ت ٧٩٤هـ) فإنه لم يذكره ضمن وجوه الإعجاز الاثني عشر التي ذكرها، إلا أنه أتبعها بتعداد عدة وجوه للإعجاز بدأها بـ " الروعة التي له في قلوب السامعين وأسماعهم، سواء المقربين والجاحدين، ثم إن سامعه إن كان مؤمناً به يداخله روعة في أول سماعه وخشية، ثم لا يزال يجد في قلبه هشاشة^(١) إليه ومحبة له، وإن كان جاحداً وجد فيه مع تلك الرهبة نفوراً وعياً لانقطاع مادته بحسن سمعه..."^(٢).
وتبعه السيوطي (ت ٩١١هـ) حيث نقل كلام القاضي عياض تحت عنوان: روعته وهيبته^(٣).
كما تحدث عنه الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م) تحت عنوان: تأثير القرآن ونجاحه، وأنه أمر: "أدركه ولا يزال يدركه كل من قرأ القرآن في تدبر وإمعان ونصفة، حاذقاً لأساليبه العربية..."^(٤).

وأطلق محمد فريد وجدي (ت ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م) على هذا النوع من الإعجاز اسم: الروحانية العالية^(٥).

ولمح إليه النورسي (ت ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م) في قوله: "إن سرّاً من أسرار إعجاز القرآن الكريم المعنوية هو أن القرآن يبين الدرجة العظيمة والساطعة لإيمان الرسول الأعظم ﷺ الذي حظي بتجلي الاسم الأعظم، وكذا يبين ويُعلم بأسلوب فطري - كخارطة مقدسة مشهورة - تلك المرتبة السامية للدين الحق العظيم والواسع والمبين للحقائق الرفيعة لعالم الآخرة وعالم الربوبية، وكذا يمثل القرآن الكريم: خطاب رب

-
- (١) أي انشراح الصدر والسرور به (إبراهيم مصطفى ورفاقه، المعجم الوسيط، مادة هـشش، ٩٩٦/٢).
 - (٢) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ١٠٦/٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
 - (٣) السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ٢٤٣/١، تحقيق: علي محمد البجاوي.
 - (٤) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ٣٠٣/٢. وستأتي عبارته بتمامها في المبحث الثالث.
 - (٥) محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن الرابع عشر الهجري العشرين الميلادي، ٦٧٨/٧.

العالمين وهو في علياء عزته وعظمته وربوبيته المطلقة، فلا بد أن تعبيراً فرقانياً بهذا الأسلوب، وبياناً قرآنياً بهذا النمط لا يمكن أن تأتي مثله عقول البشر قاطبة ولو اجتمعت في عقل واحد...^(١).

وقد تولى تفصيل هذا الإعجاز من النورسي وتوضيحه وتعميق فكرته الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، في كتابه المميز: من روائع القرآن، فقد توسع في الحديث عنه وتقديره بعبارات جميلة مؤثرة، وذلك تحت عنوان: مظهر جلال الربوبية^(٢)، مبيناً فيه أثر القرآن البالغ في قارئ الآيات التي يتحدث فيها رب العزة والجلال عن نفسه وقدرته وعلمه، بما لا يستطيع أي مدع للألوهية أن ينطق به " وليقم أي فرعون من الفراعنة المتألهين أو المتجبرين، ثم ليحرب أن ينطق بمثل هذا الكلام الذي ينزل من عرش الربوبية، ويغمر النفس بالرهبة والجلال، فإن لسانه سيدور في فمه على غير هدى، وإذا تكلم فسيأتي بكلام يكشف بعضه بعضاً فيه محاولة التمثيل، وليست فيه صنعة، إذ هو مما لا يسلس القيادة فيه لتصنع ولا لتمثيل^(٣)...".

وكان أمين الخولي (ت ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م) يرى للإعجاز النفسي عدداً من المعاني، أحدها: وقع القرآن في النفس، ومنها: استخدام القرآن علمه عن طبيعة النفس البشرية ومعرفته بشؤونها المختلفة ونواميسها التي تخضع لها لتأييد دعوته وحجته^(٤).

ونذهب عدد من العلماء والباحثين إلى تسمية هذا الوجه من الإعجاز بأسماء أخرى، فهذا سيد قطب (ت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م) في أكثر من كتاب من كتبه يدور في فلك هذا الوجه الإعجازي ويتحدث عنه بإسهاب وإشباع، ويسميه أحياناً: سحر القرآن، أو:

(١) بديع الزمان سعيد النورسي، المکتوبات، ص ٢٤٢ تحقيق: إحسان قاسم الصالحي.

(٢) الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، ص ١٥٦-١٦١.

(٣) البوطي، من روائع القرآن، ص ١٥٩.

(٤) نقله عنه: نعيم الحمصي في: فكرة إعجاز القرآن، ص ٣٣٩.

التصوير الفني، وهو في جميع ما كتب عن تأثير القرآن في النفوس وما يدخلها منه من روعة وتأثر إنما يزيد فكرة الإعجاز النفسي جلاءً ووضوحاً وتثبيتاً وتأكيداً، وإن لم يستعمل هذا الاسم في مؤلفاته، ومن المؤلفين من استخدم مصطلح: موسيقى القرآن^(١).

وذكره عبد الكريم الخطيب (ت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م) تحت عنوان: روعة القرآن وسطوته وأنه: "روح يلبس جسد الكلمات، وينتظم حروفها، فيجعل من العبارة الواحدة سخوفاً قائمة، تعمل متساندة بكل قواها وجوارحها على إشعاع المعنى المنتصب في جوهرها، وتمثيله على مسرح الحياة، ونقله إلى موطن الإقناع من العقل، وإلى مجرى التأثير في الوجدان"^(٢).

وقام عدد من المتأخرين بالبحث في مدلول الإعجاز النفسي، وتحديد مجالاته، وممن بحث في ذلك محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م) وهو يرى أن الإعجاز النفسي يتمثل في تمزيق القرآن حواجز غيب النفس...^(٣).

ويرى الدكتور صلاح الخالدي أن للإعجاز النفسي جانبين: "الأول: حديث القرآن عن النفس الإنسانية وبيانه لصفاتها، وتحليله لها، وكشفه لخباياها وخفاياها، الثاني: تأثير القرآن في النفس الإنسانية، سواء كانت مؤمنة أو كافرة، وما ينتج عن هذا التأثير في النفس من نتائج وثمرات"^(٤).

وذهب الدكتور فضل حسن عباس إلى أن حديث القرآن عن النفس الإنسانية، سواء من حيث طبيعتها المزدوجة لأنها مادة وروح، أم من حيث استعدادها المزدوج للخير

(١) مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ١٨٣ و ١٨٤، تحقيق: عبد الله المنشاوي، وسيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ٨٦-٩٦، ود. محي الدين رمضان، وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن، ص ٢٢. ود. صلاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص ١٦٦.

(٢) عبد الكريم الخطيب، إعجاز القرآن، ص ١٨٥.

(٣) محمد متولي الشعراوي، المعجزة القرآنية، ١٠٨/١.

(٤) د. صلاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، ص ٣٣٤.

والشر، وما يتفرع عنه، ليس من الإعجاز النفسي في شيء، إنما هي معلومات عن النفس الإنسانية، فيها تصوير وتحذير، وحث على الخير، وتنفير من الشر^(١)، ويرى أن الإعجاز النفسي هو: "ما نلمحه في تلك الآيات وهي تتحدث عن أصناف الناس ومواقفهم ومشاعرهم، وما يفرحهم وما يحزنهم، ما نجده من بيان لمكونات النفس وخفاياها، ودوافعها في آي القرآن الكريم، وقد يكون ذلك في الحديث عن أعداء المسلمين، وقد يكون ذلك في الدنيا، وقد يكون في الآخرة كذلك، فإنك لتقرأ الآية من القرآن الكريم، وإذ بها تصور نفسية أولئك الذين تتحدث عنهم صورة واضحة المعالم، بينة الاتجاه، لا تهمل جزئية، ولا تنسى مشهداً"^(٢) أما تأثير القرآن العظيم في النفوس وما يسبغه عليها من هيبة وحلاوة ورغبة ورهبة فهو: الإعجاز الروحي^(٣).

يتبين لنا بعد هذه الجولة بين نصوص عدد من السادة العلماء، أن منهم من اكتفى بالحديث عن هذا اللون من الإعجاز، دون البحث في تسميته أو في معناه، وذلك عند المتقدمين غالباً، واختلفت الأسماء المطلقة عليه عند باقيهم بين: روعة القرآن وهيبته وتأثيره وسحره، ونحوها من الأسماء، إلا أن أكثر هذه الأسماء تداولاً وشهرة بين المؤلفين والباحثين والمفكرين والعامة، هو: الإعجاز النفسي^(٤)، والمراد به عند معظمهم: التأثير العظيم الذي يحدثه القرآن الكريم في نفوس قارئيه وسامعيه، وإن خالف بعضهم في اسمه، أو زاد عبارات تزيده وضوحاً أو تحديداً، أو أدخل في هذا النوع من الإعجاز جوانب أخرى قريبة منه حصل فيها نزاع هل تنضوي تحت اسم الإعجاز النفسي أم لا، مثل: حديث القرآن عن النفس الإنسانية، الذي يمكن إدراجه ضمن وجه آخر من وجوه الإعجاز.

(١) د. فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص ٣٤٣ و ٣٤٤.

(٢) د. فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص ٣٤٤.

(٣) د. فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص ٣٤٥.

(٤) ينظر مثلاً: محمد الغزالي، نظرات في القرآن، ص ١٢٠. ود. خليفة العسال، من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ص ٣٤، ود. علي البدري، حقائق وأباطيل حول إعجاز القرآن، ص ١٥٥.

فالإعجاز النفسي يعني: عجز الكافرين أن يأتوا بكلام مثل القرآن في بلاغته وبيانه، وفي تأثيره العظيم في نفوس قارئيه وسامعيه، وبهذا يظهر لنا أن تأثير القرآن الكريم في النفوس يتميز ويرتقي ويتفوق عن تأثير غيره من كلام الأدباء والفصحاء والشعراء وغيرهم، فأى كلام آخر لا يمكن أن تصل درجة تأثيره إلى درجة تأثير القرآن، ومعظم تلك التأثيرات سلبية تؤدي إلى السقوط والهوي والانحدار، بخلاف تأثير القرآن إيجابيا ورقيا، كما أن تأثير تلك الأعمال لحظي سرعان ما تنمحي وتزول آثاره، بخلاف تأثير القرآن الكريم الممتد أثره.

المبحث الثاني: أدلة الإعجاز النفسي

مقصود هذا المبحث إيراد النصوص المؤكدة لهذا الوجه من وجوه الإعجاز، والتي تحمل في طياتها إشارات مباشرة، أو تلميحات يسيرة، وقد تم تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: في إيراد أدلة الإعجاز النفسي من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، مع التعليق عليها بإيجاز، وبما يظهر ما فيها من إشارة إلى الإعجاز النفسي أو تلميح إليه، وهو المطلب الأهم في هذا المبحث.

المطلب الثاني: في إيراد عدد من الحوادث التي تدل على عظيم تأثير القرآن الكريم في سامعيه وقارئيه، ومنها حوادث إسلام عدد من الصحابة الكرام وغيرهم، وهذه الحوادث ليست أدلة، ولكنها شواهد على الإعجاز النفسي، وحوادث مؤكدة له.

المطلب الأول:

ورد في عدد من الآيات بيان عظيم تأثير القرآن الكريم في النفوس، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الآية ٢١ من سورة الحشر. تبين هذه الآية أن

القرآن لو خطبت به الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه ولتشققت^(١)، وهي دعوة موجهة لأصحاب العقول والقلوب أن يتأثروا مثل هذا التأثير.

وفي آية أخرى قوله سبحانه: «وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلُّ مِمَّا فِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ الْآيَةُ ۚ إِنَّهَا لَتُبْدِلُ أَصْنَافَ الْأُمُورِ جُمُوعًا» الآية ٣١ من سورة الرعد. هذا ما يصنعه القرآن في هذه المخلوقات، " ولقد صنع هذا القرآن في النفوس التي تلقته وتكيفت به أكثر من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وإحياء الموتى، لقد صنع في هذه النفوس وبهذه النفوس خوارق أضخم، وأبعد آثاراً في أقدار الحياة، بل أبعد أثراً في شكل الأرض ذاته، فكم غير الإسلام والمسلمون من وجه الأرض، إلى جانب ما غيروا من وجه التاريخ، وإن طبيعة هذا القرآن ذاتها، طبيعته في دعوته وفي تعبيره، طبيعته في موضوعه وفي أدائه، طبيعته في حقيقته وفي تأثيره، إن طبيعة هذا القرآن تحتوي على قوة خارقة نافذة، يحسها كل من له ذوق وبصر وإدراك للكلام، واستعداد لإدراك ما يوجه إليه ويوحى به..."^(٢).

ومن الآيات قوله تعالى: «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا يَتَقَشَّرُ مِنْهُ جُلُودٌ الَّتِي بِهَا يُحْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ» الآية ٢٣ من سورة الزمر. وقوله: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» الآية ٢ من سورة الأنفال. وقوله: «إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا» الآية ٥٨ من سورة مريم. «إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا» الآيات ١٠٧ - ١٠٩ من سورة الإسراء. تشير هذه الآيات الكريمات إلى أن تأثير القرآن الكريم في المؤمنين يؤدي إلى أن تقشعر جلودهم وهي حركة غير إرادية تدل على عظيم التأثير، ثم تلين جلودهم وقلوبهم وتطمئن بذكر الله «أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» الآية

(١) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٤٤/١٨.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٩٦/٥.

٢٨ من سورة الرعد. كما تؤدي إلى أن يخروا سجداً وهي حركة إرادية، تابعة لتأثر القلب وانفعاله إلى درجة حمل الجسد على السجود، ومعنى خر: "سقط سقوطاً يسمع منه صوت خرير، والخرير يقال لصوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علو، فاستعمال الخر للسجود تنبيه على اجتماع أمرين: السقوط، وحصول الصوت منهم بالتسييح"^(١) وهو كناية عن: "غاية الوله والخوف والخشية"^(٢).

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ الآية ٨٣ من سورة المائدة. ورد أنها نزلت في نفر من نصارى الحبشة قدموا على رسول الله ﷺ فلما سمعوا القرآن أسلموا، وقيل نزلت في النجاشي وأصحاب له أسلموا معه^(٣)، وفيض العين من الدمع: امتلاؤها منه ثم سيلانه منها كفيض النهر من الماء، وفيض الإناء وهو سيلانه من شدة امتلائه، ففيض دموعهم لعرفتهم بأن الذي يتلى عليهم من كتاب الله الذي أنزله على رسول الله حق^(٤)، وإسماع الكافر كلام الله رجاء أن يتأثر به ويؤمن أمر مطلوب من المؤمنين، فمجرد سماع القرآن يمكن أن ينقل المرء من الشرك إلى الإيمان: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ الآية ٦ من سورة التوبة.

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ الآية ٢٦ من سورة فصلت. وهذا الحرص منهم على عدم سماع القرآن إلى درجة أن يوصي بعضهم بعضاً بذلك وبأن يلغوا فيه، أي: "ارفعوا أصواتكم ليتشوش القارئ

(١) الراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة خر، ص ١٤٤.

(٢) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ٥٨/٢١، والوله: شدة الفزع، والحزن، والحيرة (إبراهيم مصطفى ورفاقه، المعجم الوسيط، مادة وله، ١٠٦٩/٢).

(٣) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١/٧، وابن هشام، السيرة النبوية، ٤٨٩/١، تحقيق: مجدي فتحي السيد.

(٤) يُنظر: الطبري، جامع البيان، ٥/٧.

له، أو: الغوا فيه بالمكاء والتصديقة والتصفيق والتخليط في الكلام حتى يصير لغواً، أو: قعوا فيه وعيبيوه^(١)، وهذا دليل على عظيم تأثير الآيات الكريمة فيهم، وقد يكون ذلك إلى درجة: «وَإِذَا ذُكِّرَتْ رَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا» الآية ٤٦ من سورة الإسراء. وكان للاستماع للآيات الكريمة تأثير على الجن «فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ» الآيتان ٢، ١ من سورة الجن. وبلغ بهم أن اجتمعوا للاستماع إلى تلاوة رسول الله ﷺ حتى «كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا» الآية ١٩ من سورة الجن. أي متلاصقاً بعضهم ببعض من التزامهم عليه إعجاباً بما تلا من القرآن^(٢).

وفي قوله تعالى: «وَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» الآية ٥١ من سورة العنكبوت. دلالة على أن القرآن آية فوق الكفاية، وهو المعجزة الباقية العامة لكل الخلق: «قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا» الآية ٨٨ من سورة الإسراء.

فهذه الآيات الكريمة تحمل في ثناياها بما لا يقبل مجالا للشك أو التردد إثبات تأثير القرآن العظيم في الخلق كله، حتى الجمادات من أرض وجبال، فضلا عن المكلفين من جن وإنس، مؤمنين وكافرين.

ومن الأحاديث ما ورد عن ابن مسعود ؓ قال: قال لي النبي ﷺ: اقرأ عليّ، قلت: يا رسول الله، اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: نعم، فقرأت سورة النساء، حتى أتيت إلى هذه الآية: «فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا» الآية ٤١ من سورة النساء. قال: حسبك الآن، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان^(٣)، فهذا رسول الله ﷺ يصل به

(١) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ٥١٤/٤.

(٢) ينظر: الراغب الأصبهاني، المفردات، مادة لبَد، ص ٤٤٦، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ٣٥٣/٨.

(٣) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب ٨٨، رقم الحديث ٤٣٠٦، ومواضع أخرى، بترقيم واعتناء د. مصطفى ديب البغا، ورواه الترمذي والنسائي وأحمد.

التأثر عند سماعه آيات القرآن الكريم إلى أن تذرف عيناه الشريقتان، وقام ﷺ الليل مرة بآية بقي يرددها ويتفكر فيها ويتأمل في معناها حتى أصبح، وهي قوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الآية ١١٨ من سورة المائدة.

عن أسيد بن حضير رضي الله عنه قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوط عنده، إذ جالت الفرس^(١) فسكت فسكنت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكنت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن تصيبه، فلما اجتثته^(٢) رفع رأسه إلى السماء فإذا هو بمثل الظلة فيها أمثال المصابيح عرجت إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبي ﷺ بذلك، فقال: أتدري ما ذاك؟ قال: لا يا رسول الله، قال: تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم^(٣)، أي أن الملائكة لاستغراقها بالاستماع إلى قراءة أسيد الحسنة وتأثرها بالآيات لو بقي يقرأ إلى الصباح لبقيت على حالها الذي يمكن أن ترى فيه من قبل القارئ وغيره^(٤)، وفيه تأكيد حصول التأثر بالاستماع إلى الآيات.

المطلب الثاني:

وفيه إيراد عدد من الحوادث الدالة على عظيم التأثر عند تلاوة الآيات أو الاستماع إليها، وأن ذلك كان سبباً لإسلام عدد من الصحابة الكرام ومن بعدهم، وأن التأثر بالآيات لم يكن خاصاً بالعرب، أو من يتقن اللغة العربية، ولكنه تعداهم إلى غيرهم ممن لا يعرف شيئاً من لغة العرب، بل تعدى الإنسان إلى غيره من سائر المخلوقات.

(١) أي اضطربت اضطراباً شديداً (من هامش صحيح البخاري، وضعه د. مصطفى البغا ١٩١٦/٤).

(٢) أي أخره وأبعده عن المكان الذي كان فيه (المرجع السابق).

(٣) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن، رقم الحديث ٤٧٣٠، ورواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب نزول السكينة لقراءة القرآن، ٣٢٢/٦ من شرح النووي، بتحقيق: خليل مأمون شيا.

(٤) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري لشرح صحيح البخاري، ٦٤/٩.

ومن أشهر هذه الحوادث حادثة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد أورد ابن هشام في سبب إسلام عمر روايتين^(١)، وفي كليهما يعود سبب إسلامه إلى تأثره البالغ بقراءة آيات، وهي فواتح سورة طه، أو بالاستماع إلى تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لآيات من سورة الحاقة، وقال ابن إسحاق معلقاً وغير مرجح بين الروایتين: "فأله أعلم أي ذلك كان"^(٢) وجمع بعض الكتاب في السيرة بينهما بأن عمر استمع أولاً إلى تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم لسورة الحاقة فوقع الإسلام في قلبه، ثم حصلت معه حادثة قراءته من أول سورة طه فتأثر بها وأسلم^(٣)، وكان عمر بعد إسلامه شديد التأثر بالقرآن، ومما يروى في ذلك أنه صلى الصبح فقرأ سورة يوسف فبكى حتى سالت دموعه على ترقوته، وسمع صوت بكائه من وراء الصفوف^(٤)، وروى أنه سمع قارئاً يقرأ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ الآيتان ٨٠٧ من سورة الطور. فأغشى عليه وحمل إلى أهله ولم يزل مريضاً شهراً^(٥).

وحادثة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه حين قدم مكة وأقنعه كبراء قريش بأن لا يسمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه عند الكعبة سمع بعض تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم فتبعه إلى بيته وسمع منه المزيد، وقال: "فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت"^(٦).

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٣١/١، وقال محققه عن حديث الرواية الأولى: حسن، والثانية:

مرسل، وقد روى الحادثة الثانية الإمام أحمد في المسند، برقم ١٠٧.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٣٧/١.

(٣) صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، ص ١٢٠ و ١٢١.

(٤) النووي، التبيان في آداب حملة القرآن، ص ٤٣.

(٥) أورده القرطبي في التذكار في أفضل الأذكار، ص ١٣٣، تحقيق: ثروت محمد نافع، وأورده ابن كثير في تفسيره نقلاً عن ابن أبي الدنيا عن جعفر بن زيد العبدي (ينظر: مختصر تفسير ابن كثير للصابوني، ٣/٣٨٩).

(٦) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٧٨/١، وعلق محققه بأنه ضعيف، ورواه من طريق ابن هشام: أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، ص ٣١١، تحقيق: محمد رواس قلعه جي، وفي هامشه: أورده البيهقي والسيوطي في الخصائص وابن الأثير في البداية، وابن سعد بسند آخر.

وحادثة إسلام جبير بن مطعم رضي الله عنه وفيها قوله: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ * أَمْ خُلِقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمْ الْمُسَيْطِرُونَ﴾ الآيات ٣٥ - ٣٧ من سورة الطور. كاد قلبي أن يطير^(١)، وفي رواية: وذلك أول ما دخل الإيمان قلبي^(٢).

وحادثة إسلام أبي ذر رضي الله عنه، وفيها أن أخاه أنيساً قال له: لقيت رجلاً بمكة يزعم أن الله أرسله، يقولون: شاعر، كاهن، ساحر، - وكان أنيس أحد الشعراء - لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقرأء الشعر فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون، فأتى أبو ذر مكة وسمع من رسول الله ﷺ وأسلم^(٣).

وحادثة إسلام أسيد بن حضير رضي الله عنه وسعد بن معاذ رضي الله عنه، حيث قرأ عليهما مصعب بن عمير رضي الله عنه منفردين القرآن، وكانا يقولان: ما أحسن هذا الكلام وأجمله، وأسلما^(٤).

وحادثة إسلام سويد بن الصامت رضي الله عنه وكان شاعراً لبيباً من سكان يثرب، يسميه قومه الكامل، لجلده وشعره وشرفه ونسبه، جاء مكة حاجاً أو معتمراً، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فقال: لعل الذي معك مثل الذي معي؟ فقال له رسول الله ﷺ وما الذي معك؟ قال: حكمة لقمان، قال: اعرضها عليّ، فعرضها، فقال له رسول الله ﷺ إن هذا الكلام حسن، والذي معي أفضل من هذا، قرآن أنزله الله تعالى عليّ، هو هدى ونور، فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن، ودعاه إلى الإسلام فأسلم، وقال: إن هذا لقول حسن^(٥).

(١) رواه البخاري، في كتاب التفسير، رقم الحديث ٤٥٧٣.

(٢) السيوطي، معترك الأقران، ٢٤٣/١.

(٣) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي ذر، برقم ٦٣٠٩، وقال النووي بهامشه عن أقرأء الشعر: أنواعه وطرقه.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ٥٤٥٢/٢، قال محققه: إسناده مرسل.

(٥) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص ١٥٥.

وحادثة إسلام إياس بن معاذ رضي الله عنه وكان غلاماً من سكان يثرب، قدم مكة في وفد من الأوس، جلس إليهم النبي ﷺ وتلا عليهم القرآن، فقال إياس: أي قوم هذه والله خير مما جئتم له... ولم يلبث إياس بعد رجوعهم أن هلك وكان يهمل ويكبر ويحمد ويسبح عند موته فلا يشكون أنه مات مسلماً^(١).

وحادثة إسلام أول ستة من الخزرج، حيث حدثهم الرسول ﷺ وتلا عليهم القرآن فأسلموا^(٢).

وتوقف ليبيد بن ربيعة رضي الله عنه عن نظم الشعر بعد أن أذهله عظمة القرآن وبلاغته، وكان يقول: "ما كنت لأقول الشعر بعد أن علمني الله سورة البقرة"^(٣).

وفي المحاورة التي حصلت بين النجاشي وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، طلب النجاشي من جعفر أن يقرأ عليه، فقرأ صدراً من سورة مريم، فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته^(٤)، وبكى أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم^(٥).

وفي عدد من الروايات بيان مدى التأثير الذي كان يحصل للمشركين، وهم يستمعون إلى الآيات، ويصل ذلك ببعضهم إلى درجة القيام من المجلس مع تغير الوجه، وإخلاف الوعد بعدم سماع الآيات مرة أخرى، ومن ذلك:

حادثة عتبة بن ربيعة حين أرسله الملأ من قريش إلى النبي ﷺ ليعرض عليه المال والسيادة والملك والعلاج إن كان يحتاجه... حتى إذا فرغ مما جاء به، قرأ عليه النبي ﷺ من أول سورة فصلت، وعتبة منصت قد ألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، وقال محققه: حديث حسن، والباركفوري، الرحيق المختوم، ص ١٥٥.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٥/٢، وإسناده مرسل، وابن كثير، البداية والنهاية، ١٤٨/٣، تحقيق: د. أحمد أبو ملح ورفاقه.

(٣) د. محمد حسن هيتو، المعجزة القرآنية، ص ٤٣.

(٤) أي ابتلت من كثرة نزول الدمع عليها (من تعريف محقق سيرة ابن هشام للفظ).

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٢٤/١، وقال محققه: حديث حسن.

يسمع منه، حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة [الآية ٣٧] فسجد، ثم قال: "قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك" فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة... قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد^(١)، وفي رواية أن النبي ﷺ عندما بلغ في التلاوة قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ﴾ الآية ١٣ من سورة فصلت. قام عتبة فأمسك على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه، فلما رجع إليهم وجدوه متغيراً فقالوا: قد صبا إلى محمد، وقصص عليهم خبره، وما وقع من الرعب في قلبه من القراءة، ومما قاله: قد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب^(٢).

حادثة الوليد بن المغيرة حين اجتمع إليه نفر من قريش، وأرادوا أن يجمعوا على رأى واحد في النبي ﷺ حتى لا يكذبهم الناس فيه، وترددوا في الحكم عليه بالكهانة أو بالسحر أو بالجنون أو بأنه شاعر، وكا رأى الوليد أن كلام محمد ﷺ لا يشبه شيئاً من ذلك، وقال لهم: "والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق وإن فرعه لجناة"^(٣)، وفي رواية أنه قال: "إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله،

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٧٠/١، وقال محققه: الحديث حسن، وأخرجه البيهقي، في دلائل النبوة ٢٠١/٢، تعليق د. عبد المعطي قلنجي، والجرجاني، في الرسالة الشافعية، ص ١٢٤.

(٢) رواه البيهقي، دلائل النبوة ٢٠٣/٢، وأبو نعيم، دلائل النبوة، ص ٣٠٠، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية، ٦١/٣، وأورده السيوطي في معترك الأقران، ٢٤٣/١.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٣٨/١، والعذق: الكثير الشعب والأطراف، شبه بعذق التمر، والجناة: أي فيه ثمر يجنى، فكأنه حافل بأطيب ثمر وأشهى جنى (من تعريف المحقق للمفردات)، وأبو نعيم في الدلائل، ص ٣٠٣، والبيهقي في الدلائل، ١٩٩/٢.

وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته^(١)، وفي رواية أن الوليد قال للنبي ﷺ اقرأ عليّ، فقرأ عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الآية ٩٠ من سورة النحل. قال: أعد، فأعاد النبي ﷺ فقال: "والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما يقول هذا بشر"^(٢).

حادثة أبي سفيان وأبي جهل والأخنس بن شريق حين خرج كل منهم منفرداً ليستمع إلى قراءة النبي ﷺ وهو يصلي ليلاً في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، والتقوا وهم عائدون، فتعاهدوا أن لا يعودوا، إلا أنهم عادوا ليلة ثانية وثالثة، ثم تعاهدوا جازمين أن لا يعودوا...^(٣).

حادثة منع المشركين أبا بكر الصديق ﷺ من الصلاة والتلاوة في المسجد الحرام لما كان لتلاوته وبكائه في الصلاة من التأثير الجاذب إلى الإسلام، فاتخذ مسجداً له بفناء داره، فطفق النساء والأولاد الناشئون ينسلون من كل حذب إلى بيته ليلاً لاستماع القرآن، فنهاه المشركون وألجؤوه إلى الهجرة، فلقبه ابن الدغنة فأجاره، فعاد يقرأ في داره، وبنى مسجداً بفناء داره يصلي ويقرأ فيه، وخيره ابن الدغنة - بضغط من قريش - بين إخفاء تلاوته ورد جواره، فقال أبو بكر: "فإني أرد إليك جوارك، وأرضى بجوار الله"^(٤)، وقد اشتهر أبو بكر ﷺ بالبكاء والتأثر عند تلاوة القرآن، وحين أوصى النبي ﷺ في مرضه أن يصلي أبو بكر بالناس، قالت له

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ٥٩/٣، والطلاوة: الحسن والرونق، ومغدق: كثير، يقال: أغدق المطر: كثر قطره، وأغدقت الأرض: أخضبت (إبراهيم مصطفى ورفاقه، المعجم الوسيط، ٥٧٠/٢١ ٥٧٢).

(٢) البيهقي، دلائل النبوة، ١٩٩/٢، والجرجاني، الرسالة الشافعية، ص ١٢٣.

(٣) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٩٧/١، قال محققه: ضعيف لانقطاع إسناده، وبسنده رواه البيهقي في الدلائل ٢٠٦/٢، وابن كثير في البداية والنهاية ٦٢/٣.

(٤) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب ٧٤، رقم الحديث ٣٦٩٢، وابن هشام في السيرة النبوية ٤٦٦/١، والبيهقي في الدلائل، ٤٧١/٢، وابن كثير في البداية والنهاية، ٩١/٣.

عائشة: "إن أبا بكر رجل أسيف إذا قرأ القرآن غلبه البكاء" وفي رواية: "إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء"^(١).

أما الحوادث الواقعة بعد عصر النبوة فهي من الكثرة بمكان، وقد حفظت لنا كتب الإعجاز وفصائل القرآن وغيرها^(٢)، مجموعة من الحوادث التي تبين مدى التأثير البالغ والانفعال العفوي لدى تلاوة الآيات أو الاستماع إليها، وفيما يلي مجموعة منها، روعي في اختيارها: الجمع بين القديم والحديث، وإيراد حوادث تتعلق بغير المسلمين، وبمن أسلم لسماع القرآن أو تلاوته، وبمن عزم على معارضة القرآن، ثم عدل عن ذلك بسبب تأثيره بالآيات، كما روعي عدم ذكر الحوادث التي فيها مبالغة:

قدم وفد من نجران على أبي بكر الصديق رضي الله عنه في شيء من أمورهم، فأمر من يقرأ القرآن بحضرتهم فبكوا بكاءً شديداً، فقال أبو بكر: "هكذا كنا حتى قست القلوب"^(٣).
سمع أعرابي قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ الآية ٩٤ من سورة الحجر. فسجد وقال: سجدت لفصاحته^(٤).

روي أن نصرانيا مرّ بقارئ فوقف يبكي، فقيل له: ممّ بكيت؟ فقال: للشجا والنظم^(٥).

(١) رواه البخاري في كتاب الجماعة، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، رقم الحديث ٦٣٣، ورواه مسلم في كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام، رقم الحديث ٩٤٠، وأسيف: أي رقيق القلب سريع البكاء (من هامش البخاري).

(٢) ينظر: النووي، التبيان في آداب حملة القرآن، ص ٤١-٤٥، والقرطبي، التذكار، ص ١٢٤-١٣٥، وعبد الله سراج الدين، تلاوة القرآن المجيد فضائلها وآدابها خصائصها، ص ٨٣-٨٧، وحيدرقفة، مع القرآن الكريم، ص ٢٠٣-٢٥٤، دار الضياء، عمان، ط الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ١٥١/٣، تحقيق عبد السلام هارون، و النووي، التبيان، ص ٤٣، وأورده د. خليفة العسال، من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ص ٤٦.

(٤) أوردها د. خليفة العسال، من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ص ٥٦.

(٥) القاضي عياض، الشفا، ٢٤١/١، والسيوطي، معترك الأقران، ٢٤٢/١، والشجا: الطرب وتهيج الحزن والشوق (إبراهيم مصطفى ورفاقه، المعجم الوسيط، ٤٧٦/١) وقد تحرف اللفظ في معترك الأقران إلى: للشجاعة.

سمع الأصمعي كلاماً فصيحاً من جارية، فقال لها: قاتلك الله ما أفصحك، فقالت: أو بعد قوله تعالى فصاحة: «وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ» الآية ٧ من سورة القصص. فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين^(١).

حكى أن ابن المقفع، وكان من أفصح أهل وقته أراد معارضة القرآن وشرع فيه، فمر بصبي يقرأ: «وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» الآية ٤٤ من سورة هود. فرجع فمحا ما عمل وقال: أشهد أن هذا لا يعارض، وما هو من كلام البشر^(٢)، وقد رفض نسبة هذه الحادثة إلى ابن المقفع الرافعي والبوطي^(٣).

أراد يحيى بن حكم الغزال بليغ الأندلس في زمنه معارضة القرآن، فنظر في سورة الإخلاص ليحذو على مثالها، وينسج بزعمه على منوالها، قال: فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة والإنابة^(٤).

حكى النقاش أن أصحاب الفيلسوف الكندي قالوا له: أيها الحكيم، اعمل لنا مثل هذا القرآن، فقال: نعم أعمل مثل بعضه، فاحتجب أياماً كثيرة ثم خرج فقال: والله ما أقدر ولا يطيق هذا أحد، إنني فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة، فنظرت فإذا هو قد نطق بالوفاء ونهى عن النكث وحلّل تحليلاً عاماً ثم استثنى بعد استثناء، ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين^(٥)، ولا يقدر أحد أن يأتي بهذا^(٦).

(١) القاضي عياض، الشفا، ٢٢٩/١، وعند د. خليفة العسال ص ٥٦ زيادة في تفاصيل الحادثة.

(٢) القاضي عياض، الشفا، ٢٤٢/١.

(٣) الرافعي، إعجاز القرآن، ص ١٥٤ و ١٥٥، والبوطي، من روائع القرآن، ص ١٣١-١٣٣، ونقل نعيم الحمصي أقوالاً في نسبة معارضة القرآن إلى عدد من الأشخاص ولم يجزم بها، ينظر كتابه: فكرة إعجاز القرآن، ص ٥٨ و ٦٧ و ٦٨.

(٤) القاضي عياض، الشفا، ٢٤٢/١.

(٥) يقصد الآية الأولى من سورة المائدة.

(٦) الشوكاني، فتح القدير، ٤/٢.

روى محمد رشيد رضا عن بعض أدباء العرب من غير المسلمين أنهم كانوا يذهبون في بعض ليالي رمضان إلى بيوت معارفهم من المسلمين ليسمعوا القرآن ويمتعوا ذوقهم العربي وشعورهم الروحاني الأدبي بسماع آياته المعجزة^(١).

أورد سيد قطب في تفسير سورة النجم استشكله حادثة سجود المشركين لما قرأ عليهم النبي ﷺ سورة النجم وسجد في آخرها وسجدوا معه، وبحثه عن تعليل لها، فحديث الغرائيق غير مقنع ولا مقبول سنداً ولا متناً^(٢)، قال: "لقد بقيت فترة أبحث عن السبب الممكن لهذا السجود، ويخطر لي احتمال أنه لم يقع، وإنما هي رواية ذكرت لتعليل عودة المهاجرين من الحبشة بعد نحو شهرين أو ثلاثة، وهو أمر يحتاج إلى تعليل، وبينما أنا كذلك وقعت لي تلك التجربة الشعورية الخاصة التي أشرت إليها من قبل.

كنت بين رفقة نسمر حينما طرق أسماعنا صوت قارئ للقرآن من قريب، يتلو سورة النجم، فانقطع بيننا الحديث لنستمع وننصت للقرآن الكريم، وكان صوت القارئ مؤثراً وهو يرتل القرآن ترتيلاً حسناً، وشيئاً فشيئاً عشت معه فيما يتلوه... وارتجف كياني تحت وقع اللمسات المتتابة في المقطع الأخير من السورة... فلما سمعت «فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا» كانت الرجفة قد سرت من قلبي حقاً إلى أوصالي، واستحالت رجفة عضلية مادية ذات مظهر مادي، لم أملك مقاومته، فظل جسمي كله يختلج، ولا أتمالك أن أثبته، ولا أن أكفكف دموعاً هاتئة، لا أملك احتباسها مع الجهد والمحاولة، وأدركت في هذه اللحظة أن حادث السجود

(١) محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (المنار) ١٦٩/١.

(٢) حديث الغرائيق: فيه تعليل سجود المشركين بأقوال بعيدة منها أن الشيطان ألقى في آذان المشركين عبارة فيها مدح لآلهتهم، وهو يظنونها من جملة الآيات المتلوة فسجدوا، وهو حديث باطل غير صحيح، رده كثيرون، ينظر مثلاً: ابن الجوزي، زاد السير، والشوكاني، فتح القدير، ٤٢٢/٣، والغرائيق: جمع غرنوق وهو طائر مائي أبيض طويل الساق جميل المنظر (إبراهيم مصطفى ورفاقه، المعجم الوسيط، مادة غرنق. ٦٥٧/٢).

صحيح، وأن تعليله قريب، إنه كامن في ذلك السلطان العجيب لهذا القرآن، ولهذه الإيقاعات المنزلّة في سياق هذه السورة...^(١).

وذكر سيد قطب حادثة حصلت معه أثناء رحلته البحرية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث قام بخطبة الجمعة وأداء الصلاة على متن السفينة مع عدد من ركابها، وكان مشهداً لفت انتباه الآخرين، إلا أن "سيدة من هذا الحشد، عرفنا فيما بعد أنها يوغسلافية هاربة من جحيم تيتو وشيوعيته، كانت شديدة التأثر والانفعال، تفيض عيناها بالدمع ولا تتمالك مشاعرها، جاءت تشد على أيدينا بحرارة، وتقول - في إنجليزية ضعيفة - إنها لا تملك نفسها من التأثر العميق بصلاتنا هذه وما فيها من خشوع ونظام وروح... ثم كانت المفاجأة الحقيقية لنا وهي تقول: ... إن الموضوع الذي لفت حسي، هو أن الإمام كانت ترد في أثناء كلامه - بهذه اللغة الموسيقية - فقرات من نوع آخر غير بقية كلامه، نوع أكثر موسيقية وأعمق إيقاعاً، هذه الفقرات الخاصة كانت تحدث في رعدة وقشعريرة، إنها شيء آخر، كما لو كان الإمام مملوءاً من الروح القدس، - حسب تعبيرها المستمد من مسيحيتها - وتفكرنا قليلاً، ثم أدركنا أنها تعني الآيات القرآنية التي وردت في أثناء خطبة الجمعة، وفي أثناء الصلاة، وكانت - مع ذلك - مفاجأة لنا تدعو إلى الدهشة، من سيدة لا تفهم مما نقول شيئاً، وليست هذه قاعدة كما قلت، ولكن وقوع هذه الحادثة، ووقوع أمثالها مما ذكره لي غير واحد ذو دلالة على أن في هذا القرآن سرّاً آخر تلتقطه بعض القلوب لمجرد تلاوته..."^(٢).

وذكرت رئيسة قسم اللغة العربية ببوخارست، أنها كانت في الجزائر لتتعلم اللغة العربية، وصادفها وهي هناك أن كانت في قرية جهة الصحراء، وكان الفصل صيفاً

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٦/٦٣٦ و ٦٣٧، ومعنى هاتنة: متتابعة (إبراهيم مصطفى ورفاقه، المعجم الوسيط ٢/٩٨٠).

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٤/٤٢١-٤٢٣.

قائظاً، والهواء ساكناً، والذباب منتشر يطن، يزيد في ضيق الناس، وكان الوقت أصيلاً، وقد ارتفع صوت المذياع بتلاوة أحد المقرئين قبيل ساعة من مدفع الإفطار، ولم يلبث بعد أن استقر بها المكان أن زایلها ضيقها وإحساسها بالذباب وبالطقس، وذكرت أنها لم تجد تعليلاً لذلك غير استماعها إلى صوت المقرئ، وقد لاحظت ذلك أيضاً على الناس، حتى الغنم والماعز التي انتشرت أمام المنازل والخيام فقد استكانت هي أيضاً تجتر...^(١)

وذكر الأستاذ محمد حنيف الباحث بالموسوعة الفقهية بالكويت أنه ذهب إلى لندن لإلقاء محاضرة في مسجد بها، فوضع المكلفون بتنظيمها شريطاً من القرآن في مكبر الصوت لجمع الناس، وما أن قرئ القرآن وسمعه الناس حتى توافد على المسجد جمع غفير جلسوا يستمعون القرآن كأن على رؤوسهم الطير، ولكن بمجرد أن أغلق مكبر الصوت استعداداً لبدء المحاضرة أخذ الناس ينصرفون، فعجبت من ذلك، وبعد الفراغ سألت إمام المسجد عن هذه الظاهرة، فقال: ما نكاد نفتح مكبر الصوت في أي وقت على القرآن الكريم حتى يتوافد الناس على المسجد ويجلسون خاشعين رغم أنهم لا يفقهون القرآن، ولكنه يأخذهم بسحره وروعة لفظه وموسيقاه، فإذا انتهت التلاوة قاموا كما جاءوا^(٢).

أما الأديب نقولا حنا فقال عن تأثير القرآن فيه: "قرأت القرآن فأذهلني، وتعمقت به ففتنني، ثم أعدت القراءة فأمنت..."^(٣) وله قصيدة اسمها: من وحي القرآن، في تبیین عظمة إعجازه وتفوقه على سائر المعجزات.

-
- (١) د. محي الدين رمضان، وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن، ص ٢٤، وقد ذكر أنه سمع هذا الكلام منها في لقاء أكاديمي معها.
- (٢) د. خليفة حسين العسال، من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ص ٥٥.
- (٣) د. نور الدين عتر، علوم القرآن الكريم، ص ٢٠٢.

وتكلم عدد من المستشرقين عن تجاربهم الشخصية مع القرآن، ومدى تأثرهم به، ومن ذلك ما قالته فاغليري: "إن هذا الكتاب الذي يتلى كل يوم في طول العالم الإسلامي وعرضه لا يوقع في نفس المؤمن أي حس بالملل، على العكس، إنه من طريق التلاوة المكرورة يحبيب نفسه إلى المؤمنين أكثر فأكثر، يوماً بعد يوم، إنه يوقع في نفس من يتلوه أو يصغي إليه حساً عميقاً من المهابة والخشية..."^(١).

وقالت كوبولد: "الواقع لأن جمل القرآن وبديع أسلوبه، أمر لا يستطيع له القلم وصفاً ولا تعريفاً، ومن المقرر أن تذهب الترجمة بجماله وروعته، وما ينعم به من موسيقى لفظية لست تجدها في غيره من الكتب..."^(٢).

وقال لاندو: "... ولكن حتى أفضل ترجمة ممكنة للقرآن في شكل مكتوب لا تستطيع أن تحتفظ بإيقاع السور الموسيقي الأسر على الوجه الذي يرتلها به المسلم، وليس يستطيع الغربي أن يدرك شيئاً من روعة كلمات القرآن وقوتها إلا عندما يسمع مقاطع منه مرتلة بلغته الأصلية"^(٣).

وقالت هوني: "لن أستطيع مسهما حاولت أن أصف الأثر الذي تركه القرآن في قلبي، فلم أكد أنتهي من قراءة السورة الثالثة من القرآن حتى وجدتني ساجدة لخالق هذا الكون، فكانت هذه أول صلاة لي في الإسلام"^(٤).

وقد ثبت تأثير الآيات على العقل البشري باستعمال الأجهزة الحديثة، ومنها جهاز يقيس الموجات الدماغية بكل دقة، وهي أربع موجات لكل منها سرعة محددة،

(١) د. عماد الدين خليل، قالوا عن القرآن، ص ٢٧٥، مطبوع بذييل كتاب: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز للنورسي، وفيه تعريف موجز بالذين نقلت عباراتهم.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٨١.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٨٤.

(٤) المرجع نفسه، ص ٢٨٧.

ففي حالة اليقظة يتحرك المخ بسرعة ١٣-٢٥ موجة في الثانية، وفي حالة الهدوء النفسي والتفكير العميق والإبداع، يتحرك بسرعة ٨-١٢ موجة في الثانية، وفي حالة الهدوء العميق والخلود إلى النوم يتحرك بسرعة موجة واحدة في الثانية، وفي حالة النوم العميق يتحرك بسرعة ١/٢ - ٣ موجة في الثانية، رأى هذا الجهاز الدكتور نجيب الرفاعي في أحد مؤتمرات التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية، واستخدمه بوضع القبة على رأسه، وقرأ آية الكرسي، وشاهد على شاشة الكمبيوتر انتقال المؤشر من سرعة ٢٥ موجة في الثانية إلى ما يقارب منطقة التأمل والتفكير العميق والراحة النفسية ٨-١٢ موجة في الثانية، واستغرب صاحب الجهاز من هذه النتيجة، فطلب منه صاحب التجربة أن يقرأ على أحد رواد المعرض الذي رحّب بالفكرة، وقرأ عليه آية الكرسي، وكانت النتيجة مذهلة حيث انخفضت موجاته الدماغية بشكل سريع إلى منطقة ٨-١٢ موجة في الثانية، وقال بعد انتهاء القراءة: " لم أفهم منها شيئاً ولكنها ذات نغمات مريحة، لقد أدخلت السرور على قلبي بكلام غريب لم أفهم منه حرفاً واحداً، كلام جميل ومريح"^(١).

هذه العبارات والحوادث وكثير غيرها، تدل دلالة واضحة على عميق الأثر الذي تتركه الآيات في نفس قارئها وسامعها، وأنه أمر يمكن حصوله مع المسلم وغير المسلم، بل قد يكون سبباً لإسلامه واهتدائه، وأن في القرآن سرا عظيماً يدل على أنه كلام الله المعجز " يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداءً، قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيها، إنه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن، يشعر أن هناك شيئاً ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير، وأن هناك عنصراً ما ينسكب في الحس بمجرد

(١) د. نجيب عبد الله الرفاعي، مقالة: أثر القرآن على قلوب الأمريكان، في مجلة المجتمع الكويتية، العدد ١٢٠٦، ١٦/ صفر/ ١٤١٧هـ ٧/٢/ ١٩٩٦م.

الاستماع لهذا القرآن، يدركه بعض الناس واضحا، ويدركه بعض الناس غامضا، لكنه على كل حال موجود، هذا العنصر الذي ينسكب في الحس يصعب تحديد مصدره: أهو العبارة ذاتها؟ أهو المعنى الكامن فيها؟ أهو الصور والظلال التي تشعها؟ أهو الإيقاع الخاص المتميز من إيقاع سائر القول المصوغ من اللغة؟ أهى هذه العناصر كلها مجتمعة؟ أم إنها شيء وشيء آخر وراءها غير محدود، ذلك سر مودع في كل نص قرآني يشعر به كل من يواجه هذا القرآن ابتداءً^(١).

المبحث الثالث

موقع الإعجاز النفسي بين وجوه الإعجاز

الذين ذكروا هذا الوجه من وجوه الإعجاز كانوا متفاوتين في تحديد موقعه بين وجوه الإعجاز الأخرى، فمنهم من عدّه وجه الإعجاز الأول، ومنهم من عدّه وجهاً مستقلاً من وجوه الإعجاز، ومنهم من رآه تابعاً لأحد وجوه الإعجاز الأخرى أو مضمناً فيه، وفيما يلي ذكر وتبيين هذه الآراء، ثم محاولة الترجيح بينها أو الاختيار منها.

الرأي الأول: أن الإعجاز النفسي هو الأول بين وجوه الإعجاز، صرح بذلك محمد فريد وجدي (ت ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م) بعد أن رد القول بأن وجه الإعجاز في البلاغة، بقوله: "وإننا وإن كنا نعتقد أن القرآن قد بلغ الغاية من هذه الوجهة إلا أننا نرى أنها ليست هي الجهة الوحيدة لإعجازه، بل ولا هي أكثر جهات إعجازه سلطاناً على النفس، فإن للبلاغة على الشعور الإنساني تسلطاً محدوداً لا يتعدى حد الإعجاب بالكلام والإقبال عليه، ثم يأخذ هذا الإعجاب والإقبال في الضعف شيئاً فشيئاً بتكرار سماعه، حتى تستأنس به النفس فلا يعود يحدث فيها ما كان يحدثه في مبدأ توارده عليها،

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٦/٣٣٩٩.

وليس هذا شأن القرآن فإنه قد ثبت أن تكرار تلاوته تزيد تأثيراً، ولكنه تسلط على النفس والدارك، فوجب على الناظر في ذلك أن يبحث عن وجه إعجازه في مجال آخر يكفي لتعليل ذلك السلطان البعيد المدى الذي كان للقرآن على عقول الآخذين به^(١)، ثم انتقل إلى عرض رأيه بقوله: "لما كان القرآن روحاً من أمر الله، فلا جرم كانت له روحانية خاصة، هي عندنا جهة إعجازه، والسبب الأكبر في انقطاع الإنس والجن عن محاكاة أقصر سورة من سوره، وارتعاد فرائض الصناديد والجبابرة عند سماعه، ونهايك بروحانية الكلام الإلهي، نعم إن جهة إعجاز هذا الكتاب الإلهي الأقدس هي تلك الروحانية العالية التي قلبت شكل العالم وأكسبت تلك الطائفة القليلة العدد خلافة الله في أرضه، وأرغمت لهم معاطس الجبابرة والقساورة، ووطأت لهم عروش الأكاسرة والقيصرة حتى صاروا ملوك الملوك وإخوان الملائكة، في مدة لا يصعب عد سنيها على الأصابع ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ الآية ١٥ من سورة غافر. لا مشاحة في أن القرآن فصيح قد أخرج بفصاحته فرسان البلاغة وقادة الخطابة وسادات القوافي وملوك البيان، وهو حكيم بهر سماسرة الحكمة والفلسفة، وأدهش أساطين القانون والشرعية، وحير أراكين النظام والدستور، وهو حق ألزم كل غال الحجة، ودل كل باحث على المحجة، ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وهو هدى ورحمة ونور وشفاء لما في الصدور، كل هذه صفات جليلة تؤثر على العقل والشعور والعواطف والميول، فتتحكم بها تحكم الملك في ملكه، ولكنه فوق ذلك كله روح من أمر الله تصل من روح الإنسان إلى حيث لا تصل إليه أشعة البلاغة والبيان، ولا سيالات الحكمة والعرفان، وتسري من صميم معناه إلى حيث لا يحوم حوله فكر ولا خاطر، ولا يتخيله خيال شاعر..."^(٢).

(١) محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ٦٧٧/٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٦٧٧ و٦٧٨.

ولا يخفى ما في هذا الكلام من تكلف، وبدلاً من الحمل على القائلين بأن وجه الإعجاز في بلاغة القرآن، ونفي وجود آيات تشير إلى بلاغة القرآن اللفظية^(١)، كان يمكنه التوفيق بين الأمرين، وتبيين أن تأثير القرآن بسبب البلاغة الفائقة التي فيه، أو أنهما وجهان بالغ الأهمية في إظهار الإعجاز، فلا يطغى أحدهما على الآخر ولا يردده.

وكان حديث سيد قطب (ت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م) عن الإعجاز النفسي كثيراً، وإن لم يطلق عليه هذا الاسم، فعباراته الجذابة في: التصوير الفني، ومشاهد القيامة في القرآن، والظلال، حول عظيم تأثير القرآن في النفوس، تصل في مجموعها إلى نتيجة واحدة، وهي: أن القرآن الكريم المعجز مؤثر غاية التأثير في نفوس قارئيه وسامعيه، حتى إنه ليجعل القارئ كأنه في خلال الحدث، يرقبه ويتابعه ويعيش معه، وهو يرى أن هذا الوجه من الإعجاز هو الأول بينها^(٢)، ولا ينفى سيد قطب وجوه الإعجاز الأخرى، بل إنه يؤكد في مواضع متعددة، ويثبت أن هذا التصوير المبدع في الآيات ما هو إلا ثمرة نظمه وأسلوبه وألفاظه، فباجتماع هذه الأمور يحصل التأثير به، وفي كلامه عن وجوه الإعجاز تجديد في العبارات وأسلوب العرض، وهو يرى أنها ستة أوجه، وإن لم يتحدث عنها في موضع واحد، فهي ماثلة في مواضع عدة من الظلال^(٣).

الرأي الثاني: أن الإعجاز النفسي وجه مستقل من وجوه الإعجاز، وعلى هذا الرأي أكثر العلماء الذين ذكروا الإعجاز النفسي، وفي مقدمتهم الخطابي (ت ٣٨٨هـ) الذي سماه وجهاً، والقاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) الذي جعله الوجه السادس من وجوه الإعجاز، بعد: حسن تأليفه والتثام كلمه وفصاحته، ونظمه العجيب وأسلوبه الغريب،

(١) ذكر ذلك في ٦٨٠/٧.

(٢) د. صلاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص ٢٨٩، ونعيم الحمصي، فكرة إعجاز القرآن، ص ٣٤٨.

(٣) د. صلاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، ص ٢٨٥-٣١٧.

وإخباره عن المغيبات، وإخباره عن القسرون السالفة والأمم البائدة، وتحديد في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها، وذكر بعده وجوهاً أخرى، منها بقاءه على الزمن، وأنه لا يمل مع التكرار والترديد، وجمعه لعلوم ومعارف لم يكن يعرفها العرب من قبل^(١).

أما الزركشي (ت ٧٩٤هـ) فإنه بعد أن ذكر للإعجاز اثني عشر وجهاً، أتبعها بوجوه أخرى، وجعل أولها الروعة التي له في قلوب السامعين وأسماعهم، سواء المقرين والجاحدين، وإن كان قد نقل قبل ذلك كلام الخطابي في تأثير القرآن ضمن الوجه الحادي عشر^(٢).

وجعله السيوطي (ت ٩١١هـ) الوجه العشرين من وجوه الإعجاز التي ذكرها وعددها خمسة وثلاثون وجهاً^(٣).

وذكر محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م) أنه أحد أنواع الإعجاز، وأن من الذين اهتموا إليه بعض حكماء أوروبا^(٤).

وعده الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م) الوجه الرابع عشر من وجوه الإعجاز، وكان آخر الوجوه التي ذكرها، وعلق عليه بقوله: "هذا التأثير الخارق أو النجاح الباهر الذي نتحدث فيه، أدركه ولا يزال يدركه كل من قرأ القرآن في تدبر وإمعان ونصفه، حاذقاً لأساليبه العربية، ملماً بظروفه وأسباب نزوله، أما الذين لم يحذقوا لغة العرب ولم يحيطوا بهذه الظروف والأسباب الخاصة، فيكفيهم أن يسألوا التاريخ عما حمل هذا الكتاب من قوة محولة غيرت صورة العالم، ونقلت حدود الممالك عن طريق استيلائها

(١) القاضي عياض، الشفا، ٢٢٧/١-٢٤٧.

(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ١٠٦/٢.

(٣) السيوطي، معترك الأقران، ٢٤٢/١.

(٤) محمد رشيد رضا، النار، ١٦٩/١، وأشار إلى أن المقصود بهذا الكلام أحد فلاسفة فرنسا، في كتابه: الوحي المحمدي، ص ١٠٠، وعبارة الفيلسوف الفرنسي هذا ذكرها الزرقاني في مناهل العرقان ٣٠٧/٢.

على قلوب المخاطبين به لأول مرة استيلاءً أشبه بالقهر وما هو بالقهر، وأفعل من السحر وما هو بالسحر، سواء في ذلك أنصاره وأعداؤه، ومحالفوه ومخالفوه، وما ذاك إلا لأنهم ذاقوا بسلامة فطرتهم العربية بلاغته، ولمسوا بحاستهم البيانية إعجازه، فوجد تياره الكهربائي موضعاً في نفوسهم لشرارة ناره، أو لهطول غيثه، وانبلاج أنواره^(١).

وعد الدكتور البوطي: مظهر جلال الربوبية، الوجه الرابع والأخير من وجوه الإعجاز، وأكد بطريقة غير مباشرة أن من يراعي هذا الأمر ويلتفت إليه فلا بد حتماً أن يتأثر بالآيات ويكون لها في نفسه وقع وأثر^(٢).

وعده الدكتور صلاح الخالدي الوجه الرابع والأخير من وجوه الإعجاز، وبين أن له جانبين، وبحث في سر تأثير القرآن في النفوس^(٣).

وجعله عبد المنعم درويش الوجه الثامن والعشرين بين واحد وثلاثين وجهاً^(٤). وذكر عدد من المشاركين في المؤتمر الأول للإعجاز القرآني، هذا الوجه على أنه أحد وجوه الإعجاز، فذكره الدكتور عبد الرزاق أسكندر^(٥)، وجعله الدكتور عبد الستار حامد الوجه الثالث من وجوه الإعجاز^(٦)، وجاء في توصيات المؤتمر: "إن الإعجاز القرآني لا يحده حد محدود أو مظهر معين أو زمن معين، فهو معجز في نظمته، وفي ترتيب حروفه، وإيقاع كلماته بما يثير من إحساس يلائم المعنى المقصود..."^(٧).

(١) الزرقاني، مناهل العرفان، ٣٠٣/٢.

(٢) د. محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، ١٥٦ و ١٦٠.

(٣) د. صلاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، ص ٣٣١-٣٥١.

(٤) عبد المنعم فرج درويش، اللؤلؤ والمرجان في التنبيه على إعجاز القرآن، ص ٢٠٧.

(٥) كتاب: الإعجاز القرآني، بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني، العقود بمدينة السلام بغداد،

في ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م، ص ٣١٣.

(٦) المرجع السابق نفسه، ص ٣٢٦ و ٣٢٧.

(٧) المرجع السابق نفسه، ص ٦٩٦.

الرأي الثالث: أن الإعجاز النفسي تابع لأحد وجوه الإعجاز ولا يعد وجهاً مستقلاً بذاته، وقد ذكر ذلك عدد من المؤلفين.

فمن هؤلاء الرافعي (ت ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م) حيث أورد إشارات متعددة حول هذا النوع من الإعجاز في ثانيا كلامه عن مفردات القرآن ونظمه وبلاغته، فلم يفرد بالذكر ولم يخصه بعنوان مميز^(١).

وكذلك في كلام محمد عبد الله دراز (ت ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م) عبارات متفرقة وإشارات عن تأثير القرآن في النفس^(٢).

أما بديع الزمان سعيد النورسي (ت ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م) فلم يعده وجهاً مستقلاً كذلك، وأشار إليه إشارة عابرة، وجعله أحد ثلاثة أسس تشكل مجموعها سرا من أسرار الإعجاز المعنوية^(٣)، كما أشار إليه في ذيل رسالة المعجزات القرآنية، بقوله: "إن القرآن الكريم قد بدل الحياة الاجتماعية تبديلاً هائلاً نور الآفاق وملأها بالسعادة والحقائق، وأحدث انقلاباً عظيماً في نفوس البشر وفي قلوبهم..."^(٤).

وتحدث عبد الكريم الخطيب (ت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م) عن روعة القرآن وسطوته،

(١) مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ٢٣ و ٩١ و ٩٧ و ١٣٤ و ١٨١ و ٢٢٨.

(٢) محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، ص ١٠٢ و ١١٣ و ١١٦.

(٣) بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص ٢٤٢، هامش ٢، ومن اللطيف أنني كنت قد أعددت بحثاً عن وجوه الإعجاز عند النورسي شاركت به في المؤتمر العالمي الذي عقد في استانبول عام ١٩٩٥م، وضمنته عبارة النورسي التي أشار فيها إلى الإعجاز النفسي، وعلقت عليها بعبارة وكانت آخر ما في البحث: "إن حديث النورسي عن هذا الوجه من الإعجاز كان في غاية الاختصار، وعلى أنه أحد ثلاثة أسس تشكل مجموعها سرا من أسرار الإعجاز المعنوية، وهو وجه حري بالدراسة والتأمل والتوسع في الحديث عنه" [ص ٣٠٨ من كتاب: المؤتمر العالمي لبديع الزمان النورسي] وها أنا أعود إليه بالدراسة والتوسع في الحديث عنه.

(٤) النورسي، المعجزات القرآنية، ص ١٦٧، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي.

على أنه أحد الأمور الظاهرة جداً فيه، وهو يرى أن وجوه الإعجاز أربعة: الصدق المطلق، وعلو الجهة المنزل منها القرآن، وحسن الأداء، وروحانية القرآن، فهو لا يرى أن تأثير القرآن في النفوس وسلطانه على القلوب أحد وجوه الإعجاز، وإن كان مفهوماً من كلامه اندراجه ضمنها، ودخوله تحت لوائها^(١).

وضمنت بنت الشاطئ الإشارة إليه في ثنايا حديثها عن الإعجاز البياني^(٢). وأفرد الدكتور فضل حسن عباس للإعجاز النفسي والإعجاز الروحي عنواناً، وهو يفرق بينهما - كما سبق - ورجح أنه تابع للإعجاز البياني في قوله: "نحن لا ننكر تأثير القرآن على النفوس، فتلك قضية بديهية، ولكن الذي نناقشه هنا أن نعد هذا الوجه وجهاً منفصلاً عن بيان القرآن وبلاغته وبديع نظمه، وإذن فنحن ننكر أن نعد هذا الوجه الأول من وجوه الإعجاز فوق بلاغته وبيانه، والذي نراه جديراً بالقبول أن هذا الوجه ناشئ عن بلاغة القرآن وعلو شأنه، وبديع نظمه..."^(٣).

وجعل الدكتور خليفة العسال الإعجاز النفسي الوجه الخامس من وجوه الإعجاز، إلا أنه نص على عدم استقلايته بقوله: "ومما هو جدير بالذكر أن هذا الوجه النفسي التأثيري من وجوه الإعجاز لا يقع مستقلاً بذاته، بل لا بد وأن يكون متصلاً بغيره من وجوه الإعجاز الأخرى، كما أنه لا خلاف في الواقع بين القائلين بهذا الوجه وبين غيرهم من أصحاب الوجوه الأخرى للإعجاز، فإن تذوق الإعجاز لا يمنع من بيان الوجوه التي فجرت هذا التذوق"^(٤)، وقال في خاتمة كتابه: "إن التأثير النفسي بالقرآن

(١) عبد الكريم الخطيب، إعجاز القرآن، ص ١٨٥-٢٤٦، وحديث الخطيب عن روحانية القرآن ليس كحديث محمد فريد وجدي عنه.

(٢) عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق، ص ٤٦.

(٣) د. فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص ٣٤٨.

(٤) د. خليفة حسين العسال، من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، ص ٣٦.

يتناول سائر المخلوقات، كما أنه لا يقع مستقلاً بذاته عن وجوه الإعجاز الأخرى لأن الوجوه كلها تذوقية تحرك المشاعر والوجدان وتؤثر في الأسماع"^(١).

ومن العلماء الذين تعرضوا لذكر الإعجاز النفسي مَنْ لم يعن بتعداد وجوه الإعجاز أو تقسيمها، وقد يكون كلامه عن الإعجاز ضمن كلامه عن أمر آخر، أو أثناء حديثه عن القرآن بصورة عامة، فلا يمكن تحديد رأيه فيه بدقة، ويصعب تتبع مثل هذا الأقوال لتشتتها وتفرقها في العديد من الكتب مختلفة الموضوعات والتخصصات، ولعل في ما تم إيراد الكفاية والدلالة على غيره.

وبعد عرض هذه الآراء الثلاثة في موقع الإعجاز النفسي بين وجوه الإعجاز، يأتي دور محاولة التوفيق والجمع أو الترجيح بينها، بعد تقرير أن كل مجتهد في تبیین وجوه الإعجاز مأجور بإذن الله مشكور، وغاية الجميع إظهار عظمة هذا الكتاب المعجز، ومحاولة تجلية ما فيه من روائع وبدائع، وقد كان للعلماء مسلكان في عدد وجوه الإعجاز، فمنهم من ذهب إلى القول بحصر عدد وجوه الإعجاز في وجهين أو ثلاثة: الإعجاز البياني، أي بجميع ما يتعلق بلفظ القرآن ونظمه من مباحث، والإعجاز العلمي، أي بجميع ما فيه من علوم، وأخبار عن السابقين، وأمور مستقبلية، وحقائق علمية لم تكن معروفة، ومنه: التشريع^(٢)، وقد أفرد عدد من العلماء بالذكر فجعلوه الوجه الثالث^(٣)، ومنهم من مال إلى التفصيل وتعداد

(١) المرجع السابق نفسه، ص ٦٢.

(٢) ممن جعله تابعا للإعجاز الفعلي: محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، ص ٩٢.

(٣) ممن جعله وجها مستقلا: محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، ص ٧٩، ومناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص ٢٦٢، ود. فضل حسن عباس، إعجاز القرآن، ص ١٥٠، جامعة القدس المفتوحة.

وجوه كثيرة للإعجاز، كما فعل القرطبي^(١)، والزركشي والسيوطي، والزرقاني، وأحمد خلف الله^(٢)، والنورسي^(٣)، ومن تبعهم. ويرى الباحث تبعا لمعظم من تعرض للحديث عن الإعجاز النفسي أنه وجه مستقل من وجوه الإعجاز، وأنه يقع في موقع متميز بين وجوه الإعجاز، لأنه أمر يتعامل معه الجميع، ويتعرض له ولآثاره كل تال وسماع، ولو في فترة أو مرة، بخلاف بعض وجوه الإعجاز التي اختص بالتعامل بها عدد محدود، ولا يكاد يشعر بها كثير من المتعاملين بالقرآن، وأنه وثيق الصلة بالإعجاز البياني، وثمرة من ثمراته الكثيرة.

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٧٣/١-٧٥.

(٢) أضاف أحمد خلف الله إلى وجوه الإعجاز الخمسة والثلاثين التي ذكرها السيوطي، أربعين وجهاً أخرى، في كتابه: القرآن يتحدى، ذكر ذلك الدكتور عبد الغفور محمود مصطفى جعفر في بحثه: إعجاز القرآن في فكر بديع الزمان النورسي، ص ٣٥٠ من كتاب: المؤتمر العالمي لبديع الزمان النورسي.

(٣) تعددت عبارات النورسي في عدد وجوه الإعجاز بين سبعة أوجه، أو أربعين وجهاً، أو مئتي وجه وأكثر، وقد بينت في بحثي: آراء النورسي في وجوه الإعجاز أن مراد النورسي بالأوجه السبعة: العامة أو الرئيسة، وبالأوجه الأربعين أو المئتين: الدقيقة أو الفرعية المندرجة تحت الأوجه العامة وضمنها (ص ٣٠٢ من كتاب: المؤتمر العالمي لبديع الزمان النورسي).

من نتائج البحث:

- ١- إن البحث في الإعجاز النفسي قديم، فقد تعرض له أوائل من ألف في الإعجاز أو كتب فيه، كالخطابي والقاضي عياض.
- ٢- اختلفت عبارات الباحثين في التعبير عن الإعجاز النفسي بين: تأثير القرآن، وروعته، وهيبته، وسحر القرآن، والإعجاز الروحي، وغيرها من العبارات ذات المدلول المتقارب.
- ٣- أدخل بعض الباحثين ضمن الإعجاز النفسي: حديث القرآن عن النفس الإنسانية وخفاياها، واقتصر بعضهم على التأثير العظيم للقرآن في نفوس سامعيه وقارئيه، وهو ما تم ترجيحه في البحث.
- ٤- أدلة إثبات الإعجاز النفسي كثيرة ومتنوعة، وهي بحاجة إلى جمع وتتبع وتصنيف وتعليق، وتمييز بين الصحيح والضعيف.
- ٥- الإعجاز النفسي أحد وجوه الإعجاز، وهو وثيق الصلة بالإعجاز البياني. والله تعالى أعلى وأعلم، وله الحمد أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



قائمة المراجع:

- مرتبة هجائيا حسب أسماء الشهرة للمؤلفين بإسقاط الزوائد مثل (ابن، أبو، لام التعريف)
- ١- إبراهيم مصطفى ورفاقه، المعجم الوسيط، المكتبة العلمية، طهران، بلا تاريخ نشر ولا رقم طبعة.
- ٢- أحمد بن حنبل، المسند، مؤسسة قرطبة، بلا تاريخ نشر ولا رقم طبعة.
- ٣- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، بتريقيم واعتناء: د. مصطفى ديب البغا، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ط الثالثة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
- ٤- البيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوة، تعليق: د. عبد المعطي قلنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥.
- ٥- الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل ودار الفكر، بيروت، بلا تاريخ نشر ولا رقم طبعة.
- ٦- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، الرسالة الشافية، مطبوعة مع رسالتين آخرين في إعجاز القرآن، بتحقيق: محمد خلف الله أحمد، ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط الثالثة.
- ٧- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، ط الرابعة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧.
- ٨- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري لشرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، بلا تاريخ نشر ولا رقم طبعة.
- ٩- أبو حيان، محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي، البحر المحيط، مطبعة النصر الحديثة، الرياض، بلا تاريخ نشر ولا رقم طبعة.

- ١٠- حيدر قفة، مع القرآن الكريم دراسات وأحكام، دار الضياء، عمان، ط الأولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧.
- ١١- الخطابي، حمد بن محمد، بيان إعجاز القرآن، تحقيق: عبد الله الصديق، مطبعة دار التأليف بمصر، ونسخة أخرى بتحقيق: محمد خلف الله أحمد، ود. محمد زغلول سلام، مطبوعة مع رسالتين أخريين في الإعجاز، دار المعارف بمصر، ط الثالثة.
- ١٢- د. خليفة حسين العسال، من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، القاهرة، ط الأولى، ١٩٩٤م.
- ١٣- الرازي، فخر الدين، محمد بن عمر، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.
- ١٤- الراغب الأصبهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت، بلا تاريخ نشر ولا رقم طبعة.
- ١٥- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر، بلا تاريخ نشر ولا رقم طبعة.
- ١٦- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط الثانية،
- ١٧- سعيد النورسي، بديع الزمان، المعجزات القرآنية، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط الأولى، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠.
- ١٨- سعيد النورسي، بديع الزمان، المكتوبات، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، استانبول.
- ١٩- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ١٣٨٦هـ، ١٩٦٦م. بلا اسم ناشر.
- ٢٠- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط السابعة، ١٣٩١هـ، ١٩٧١.

- ٢١- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، بلا تاريخ نشر ولا رقم طبعة.
- ٢٢- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت، ط الثالثة، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣.
- ٢٣- صفى الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، ١٩٩١.
- ٢٤- د. صلاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن، دار عمار، عمان، ط الثانية، ١٩٩٦.
- ٢٥- د. صلاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الفرقان، عمان، ط الأولى، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
- ٢٦- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط الثالثة، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م.
- ٢٧- عائشة عبد الرحمن، بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق، دار المعارف، ط الثانية، بلا تاريخ نشر.
- ٢٨- عبد الكريم الخطيب، إعجاز القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط الثانية، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.
- ٢٩- عبد الله سراج الدين، تلاوة القرآن المجيد، فضائلها، آدابها، خصائصها، مطبعة سحر، جدة، ط الثالثة، ١٤٠٢هـ.
- ٣٠- عبد المنعم فرج درويش، اللؤلؤ والمرجان في التنبيه على إعجاز القرآن، مطبعة البيان، دبي.
- ٣١- د. علي البدر، حقائق وأباطيل حول إعجاز القرآن، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ط الأولى، ١٩٨٢م.
- ٣٢- د. عماد الدين خليل، قالوا عن القرآن، مطبوع بذييل كتاب: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز للنورسي، دار سوزلر، استانبول، ط الأولى، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

- ٣٣- عياض، القاضي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق: حسين عبد الحميد نيل، دار الأرقم، بيروت، ط الأولى.
- ٣٤- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، التذكار في أفضل الأذكار، تحقيق: ثروت محمد نافع، دار التوحيد، مصر، بلا تاريخ نشر.
- ٣٥- القرطبي، محمد بن أحمد الجامع لأحكام القرآن، بلا تاريخ نشر ولا رقم طبعة.
- ٣٦- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط الثالثة، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
- ٣٧- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، مطبعة السعادة، ط الأولى، ١٣٢٧هـ.
- ٣٨- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: د. أحمد أبو ملحم ورفاقه، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- ٣٩- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨.
- ٤٠- د. فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، بلا تاريخ نشر ولا رقم طبعة.
- ٤١- د. فضل حسن عباس، إعجاز القرآن، جامعة القدس المفتوحة، ط الثانية، ١٩٩٧م.
- ٤٢- مجلة المجتمع، الكويت، العدد: ١٢٠٦.
- ٤٣- مجموعة من الباحثين، الإعجاز القرآني، بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني المعقود بمدينة السلام بغداد، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
- ٤٤- مجموعة من الباحثين، المؤتمر العالمي لبديع الزمان سعيد النورسي، تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين، استانبول، ط الأولى، ١٩٩٦م.
- ٤٥- محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، دار الفكر العربي، بلا تاريخ نشر.

- ٤٦- د. محمد حسن هيتو، المعجزة القرآنية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
- ٤٧- محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، (المنار) دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٩٩٩م.
- ٤٨- محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، الزهراء للإعلام العربي، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- ٤٩- د. محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
- ٥٠- محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، دار القلم، الكويت، ط الثانية، ١٣٩٠م.
- ٥١- محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت، ط السابعة، ١٤٠٢هـ، ١٩٨١م.
- ٥٢- محمد الغزالي، نظرات في القرآن، مؤسسة الخانجي، مصر، ط الأولى، ١٩٥٨م.
- ٥٣- محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن الرابع عشر الهجري العشرين الميلادي، مطبعة دائرة معارف القرن العشرين، ط الثانية، ١٣٤٢هـ، ١٩٢٤م.
- ٥٤- محمد متولي الشعراوي، معجزة القرآن، بلا تاريخ نشر ولا رقم طبعة.
- ٥٥- د. محي الدين رمضان، وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن، دار الفرقان، عمان، ط الأولى، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
- ٥٦- مسلم بن الحجاج النيسابوري، الجامع الصحيح، بشرح الإمام النووي، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط الرابعة، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
- ٥٧- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تحقيق: عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان بالمنصورة، مصر، ط الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

- ٥٨- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، ط الثامنة عشرة، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.
- ٥٩- النسائي، أحمد بن شعيب، السنن، دار الكتاب العربي، بيروت، بلا تاريخ نشر.
- ٦٠- أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، تحقيق: محمد رواس قلعه جي، وخرج أحاديثه: عبد البر عباس، المكتبة العربية، حلب، ط الأولى، ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م.
- ٦١- نعيم الحمصي، فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
- ٦٢- د. نور الدين عتر، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح، دمشق، ط السادسة، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
- ٦٣- النووي، محي الدين يحيى بن زكريا، الاتبييان في آداب حملة القرآن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط الأولى، ١٣٧٩هـ، ١٩٦٠م.
- ٦٤- ابن هشام، عبد الملك المعافري، السيرة النبوية، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث بطنطا، مصر.